عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 109 / 16 كانون الثاني 2018

ريف حلب الغربي
عدسة أحمد عزيزة - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

مهرجو العودة.. وأوهام استعادة التاريخ

بعيد إكمال النظام سيطرته في جزء من محافظة دير الزور في الفترة القريبة الماضية، تعالت أصوات هنا وهناك تدعو النازحين في مناطق سيطرة «قسد» ومناطق سيطرة الجيش الحر في إدلب وحلب، ثم اللاجئين في تركيا إلى العودة. وكحال أيّ جماعة بشرية تعرضت لاضطهاد طويل، ستكون هناك أنفس ونوايا تعايشت معه واعتادت عليه وتماهت به، فظهر بين النازحين من أصغى لهذه الدعوات بمبررات شتى، تبدأ بفرضية انتصار النظام وعبثية الوقوف ضده، وتنتهي بجزم مغرض أنّه كان في الجانب الحق من الصراع.

نشّط النظام أذرعاً خفية ومعلنة زرعها في أوساط معارضيه، لإعاة إثارة جدل اجتماعي حيال قضية كانت حسمت منذ وقت طويل، بأن لا خضوع مجدداً لسلطة الأسد. وفي الآن ذاته دفع النظام مهرجين سمّاهم شيوخ عشائر وأعضاء في مجلس شعب، وآخرين غيرهم تم تصعيدهم من القاع، وسماسرة حرب و«عقلاء يريدون مصلحة الناس ورجوعها إلى بيوتها بعد تشرد مرير».

لا ينظر النظام إلى النازحين واللاجئين إلا بوصفهم متمردين عصاة، ولا يفهم المصالحة معهم إلا بكونها استسلاماً وتوبة، يقابلهما عفو يشترط رضوخهم المطلق لطاعته مجدداً؛ مع ما يعنيه هذا من التنازل الأبدي الصاغر عن المطالبة بأي حقوق سلبت منهم قبل الثورة وخلالها، وعليهم أن يقبلوا فناءها هذه المرة أيضا وإلى الأبد، وأن ينقلبوا إلى مدافعين عنه فعلاً ودماً بدفع أبنائهم للالتحاق بجيشه أو الانتساب إلى ميليشياته قيد التأسيس.

ينبني هذا الوهم القامع برمته على افتراض من النظام، أنّ كل شيء تقريباً في هذه المرحلة بات على ما يرام، و أنّ الحال السوري سيعود إلى ما كان عليه قبل العام 2011. لكنّ أيّ جردة سريعة لتفاصيل المشهد السوري حتى السطحية منها، ستوضح استحالة تحقق هذه الفرضية. فميدانياً، عاد داعش الذي تسارعت إعلانات الأسد وحلفائه بالانتصار عليه، ليظهر دون منطق متاح للتبرير والفهم كالعادة في أكثر من بقعة سورية، ومازال يمثل تهديداً لمدينة دير الزور ذاتها، وهو عملياً على تخوم الميادين والبوكمال. وسياسياً، يترنح مؤتمر سوتشي الذي خطط له أن يكون استبدالاً روسياً لمسار جنيف الأممي بين تأجيل وتأجيل، وبين هزال قائمة المدعوين التي لا تجد من يشغلها.

في واقع شديد السيولة كهذا، لن يمكن لأماني بعض من تراودهم رغبة العودة إلى حضن النظام أن تحقق انتشاراً، لأنّ الناس تعرف أنّ أجهزة القمع والانتقام والنهب لن تتركهم وشأنهم، فالنظام بلغ في توحشه العاري حداً لا يمكنه إخفاؤه ولا التعايش معه.

3 ألغام داعش تفتك بالعائدين إلى بيوتهم في الكشكية وأبو حمام

7 في مدينة الباب.. جماعتان سريتان تعلنان وقوفهما وراء أعمال قتل طالت متهمين بالانتماء لداعش

10 مخابرات النظام في حلب تقتل مراسلاً للأوقاف التابعة له

11 في جنوب دمشق: نكسة لشيخ المصالحة أنس الطويل

12 نساء في دمشق: بين تعاطي الحشيش واعتياد المسكنات

15-14 اعتراضات سراسراي..تسعة أيام قوضت جمهورية "آيات الله" المنهكة

16 دياسبورا دير الزور الخامسة..نفي صامت إلى ساحة الجريمة

19 أرقام من قرية الموعة عن قتلاها ورسالة لبشار الأسد

خاص عين المدينة

ألغام داعش تفتك بالعائدين إلى بيوتهم في الكشكية وأبو حمام والتنظيم يختم حكايته بالقتل مثلما بدأها مع عشيرة الشعيطات

واصل العلي

منذ طرد تنظيم داعش من بلدتي أبو حمام والكشكية -شرق دير الزور- في أواخر شهر كانون الأول الماضي، ثم بدء عودة الأهالي النازحين إليهما، وقعت أكثر من(60) حادثة انفجار لألغام مختلفة الأنواع، زرعها تنظيم داعش في البيوت والشوارع والمحلات التجارية في البلدتين، أودت بحياة (8) رجال، و(4) نساء، و(7) أطفال، وتسببت بإصابة العشرات بتشوهات وبتر أطراف.

بعد أقل من ساعة من وصولها منزلها في حي (صنيدح) في بلدة الكشكية قضت سالمة (32) عاماً، وهي أم لطفلة وحامل في الشهر الأخير، بانفجار لغم مزروع في تنور على أطراف المنزل. في حادثة أخرى ببلدة أبو حمام، ولم تكن أم أحمد تدرك الخطر الذي ينطوي عليه تحريك حصير داخل منزلها وقت عودتها من النزوح، إذ ربط فيه لغم تسبب لها بإصابة بالغة أدت لبتر قدميها.

مع اقتراب قوات «قسد» في هجومها ضد تنظيم داعش من الكشكية وأبو حمام، كثف التنظيم عمليات زرع الألغام داخل البلدتين وحولهما، كأسلوب دفاعي نجح فعلياً بتأخير تقدمها. لكن الأهالي يرون أن لداعش غاية أخرى غير أعمال القتال من وراء ألغامها، وهي الانتقام والمزيد من التنكيل بعشيرة الشعيطات التي يتحدر أغلبية سكان البلدتين منها، إذ ترغب داعش أن تختم أيامها مع الشعيطات بمذابح كالتي بدأتها بها صيف العام 2014، حسب ما يفسر كثير من أبناء الشعيطات كثافة الألغام في ديارهم مقارنة بغيرها من القرى والبلدات التي انتزعتها قسد من سيطرة داعش.

لم تبذل قسد بعيد سيطرتها على البلدتين أي جهود خاصة بشأن الألغام، واكتفت بتنظيف بعض الشوارع الرئيسية التي تمر بها عرباتها، وبعض البيوت التي اتخذتها مقرات لعناصرها، ولم تظهر في البلدتين أي فرق محترفة لنزع الألغام، ما اضطر الأهالي العائدون من النزوح إلى الاعتماد على أنفسهم في انتزاع ما يمكن انتزاعه من الألغام.

يقول شهاب الطعمة وهو إعلامي سابق من بلدة أبو حمام، إن شباناً من البلدة عثروا على لغم في أحد المنازل وفككوه، لكنه كان مرتبطاً بلغم آخر في البيت، انفجر مباشرة وأودى بحياة ثلاثة شبان على الفور، فلا مجال للخطأ أبداً في التعامل مع الألغام، لأن «الغلطة الأولى هي الأخيرة».

يلجأ الأهالي إلى طرق بسيطة في الكشف عن الألغام، إذ يعتمدون أحياناً على المواشي من الأغنام لتمشيط الحقول والمساحات الفارغة، لكن ذلك لا ينفع إلا بقدر محدود، ففي واحدة من الحوادث اليومية تقريباً، سيّر أحد الفلاحين قطيع أغنامه في حقل للكشف عن الألغام التي لم ينفجر أي منها مع حركة الأغنام، لتنفجر ثلاثة منها لاحقاً حين سقى الحقل، وبلا خسائر هذه المرة.

لاحظ الطعمة تفاوت نسبة الألغام المزروعة بين حي وآخر، وشارع وآخر في بلدته وعلى أطرافها، حسب المحاور المتوقعة لهجوم قسد. لكن ذلك لم يخفف ،حسب ما يقول، من عمليات تفخيخ وتلغيم تبدو بلا أي فائدة عسكرية. ويشيد بشجاعة بعض الشبان المتطوعين من تلقاء أنفسهم للكشف عن الألغام وتفكيك ما يمكن تفكيكه منها، معتمدين على خبرات سابقة اكتسبوها خلال التحاقهم بالجيش الحر، أو خلال تأديتهم الخدمة العسكرية في جيش النظام.

وأثناء تصاعد حدة القتال في الصيف والخريف الماضيين، نزح عشرات الآلاف من السكان الباقين تحت سيطرة داعش باتجاهات مختلفة، في المناطق الواقعة تحت سيطرة «قسد» في محافظات الرقة والحسكة وجزء من دير الزور. وما إن رحلت داعش حتى بدأت حركة العودة. وحسب تقديرات أهلية، عاد إلى بلدتي الكشكية وأبو حمام (40)% تقريباً ممن نزحوا عنهما منذ الصيف الماضي، والنسبة آخذة بالارتفاع. يدرك العائدون الخطر الذي تمثله ألغام داعش، لكنهم يفضلون مواجهتها على البقاء كنازحين في العراء في البادية، أو في خيم لا تقيهم برد الشتاء.

ولّى زمن الفرسان

حين تعلق الحرب تبعاتها على أجساد السوريين

Kazuya Akimoto

نشوان الصالح

تقول إحدى الحكايات الشعبية: إنّ فارساً بلغه، وهو بعيدٌ عن بلدته، أنّ زوجته قد أصابها الجدري، وتشوه جسدها ووجهها، فظلّ يبكي طوال الليل حتى أصبح فاقداً بصره، وقاده أصحابه للمنزل ليتابع حياته تعتني به زوجته. لكنّ زوج غفران لم يصبْ بالعمى، ولعله لم يبكِ، حين قُصف منزلهم في إحدى قرى ريف حلب الشرقي منذ عام، واحترق كامل جسدها فيما عدا وجهها، بل عبر معها الحدود السورية التركية بسيارة الإسعاف، انتظر بعض الوقت، ولما تأكد أنّ غفران لن تستعيد نضارة جسدها، قال لها: «لم أعد أستطيع النظر إليكِ»، واختفى.

بحثت عنه غفران بكل الوسائل، لكن لا أخبار عنه. ومع شُحّ الأقرباء والمعارف فقدت الأملَ تدريجياً في الوصول إليه. وعلى الجانب الآخر من الحدود تكفلت والدة غفران ببقية العائلة، أخذت الأطفال الأربعة، وعبرت بهم إلى تركيا بوساطة أحد المهربين، لتلحق بابنتها هناك. وعلى أطراف إحدى المدن المترفة تعيش غفران في زريبةٍ مع أولادها الأربعة، زريبةٍ مغلقةٍ لا نوافذ فيها، تخنقها الرطوبة ورائحة العفونة المتغلغلة بين أحجارها، ترتدي ثياباً تكسو كامل جسدها، كي لا يخاف الأولاد من الحروق، فلا تخلع حتى غطاء رأسها حتى أثناء النوم. وبصنبور ماءٍ واحد تصبح الحجرةُ مسكناً ومطبخاً وحماماً.

هديل، صديقة غفران، تزورها باستمرار، وتحاول التخفيف عنها ما استطاعت، وتصف حالتها بحذرٍ يُبعد الفضول الإعلامي عن غفران: «تدفع أمّ غفران إيجار الزريبة، فواتير الماء والكهرباء، ومصاريف العيش، مما تجنيه من عملها في خدمة البيوت، وتحاول أقصى ما استطاعت أن تدفع ابنتها على الاستمرار، لكن غفران ترفض الاستجابة، تنطوي على نفسها، لا تتحدث إلا بعلاج جسدها، تخدم أطفالها بالحد الأدنى من الكلام، وتشرد وفي عينها دمعة لباقي الوقت».

أم غفران التي تكفلت بكل شيء، حتى بالوصول إلى المنظمات والهيئات، تُظهر صلابة غير عادية في دعم ابنتها، وتتحدث بقلب الجدة الحنون عن الأطفال: «اعتادوا على عدم الخروج، واللعب داخل الغرفة/الزريبة. صفاء ذات الثمان سنوات تسير على رؤوس أصابعها بسبب تقرحات مزمنة في أقدامها، تخاف من أمها حين تخلع ملابسها، وتشاهد كوابيس تجعلها تتبول لا إرادياً، وريم ذات الست سنوات امتلأ وجهها وجسدها بالثآليل بسبب الرعب الذي تعرضت له حين قُصف منزلهم في القرية، ولا مدارس للطفلتين ولا مشافٍ لعدم حصولهم على بطاقة الحماية المؤقتة، وخولة ذات العامين والنصف تعاني، إضافة لما سبق، من عدائية أختيها، وأحمد ذي العام والنصف ظهر عليه نقص التغذية وتنزف أذنه باستمرار».

«السقف مهلهلٌ ومليء بالثقوب» تقول هديل: «وفي إحدى المرات نزلت حمامة من فجوة صغيرة في السقف، وبينما كنت أتحدث مع غفران، قفزت من مكانها وراحت تندب وتولول، لنكتشف أن صفاء أطعمت البرغل للحمامة، البرغل الذي كان سيمسي غداء اليوم. وبسقف كهذا، وغطاءين يفترشونهما للنوم، تنتظر غفران وعائلتها الشتاء».

دأبت غفران منذ الحادثة على محاولة علاج جسدها، وفي كل مرة تفشل كانت تحاول الانتحار، ضربت رأسها بالمرآة في المرة الأولى، جرحت عروقها في المرة الثانية، وأضربت عن الطعام في المرة الثالثة، وحين أدركت أن لا علاج يعيدها إلى سابق عهدها، انكفأت على نفسها وأطفالها، ولم تعد تهتم بما هو خارج الزريبة؛ تخرج برفقة والدتها فقط وعند الضرورة.

مؤخراً عادت الحياة لعينيها، حين عرضت عليها إحدى الجمعيات في أنقرة العلاج، وهناك أخبرها الطبيب أن العلاج سيكتفي ببعض الحروق العميقة، ولن يعيد لها نضارة جسدها، لأن ذلك يحتاج لعمليات تجميل كلفتها باهظة، ما أصابها بنوبة من الغضب الشديد. حاول الطبيب تهدئتها، واستدعى لها طبيباً نفسياً، لكنها طردته وهي تصرخ: «أنا مو مجنونة، اعملولي عملية التجميل وأنا بصير منيحة». ألح عليها، فخلعت حجابها، وكشفت عن صدرها: «أنا رح ضل كل عمري هيك يعني؟!».

أُسقط في يد الوالدة، وأحست بالعجز الكامل أمام ابنتها التي فقدت ثقتها بالناس، فاستعانت بهديل المواظبة على محاولات تحسين أوضاع العائلة ككل، لعل ذلك يخفف قليلاً عنها، وبعد إدخال صفاء وريم إلى المدرسة هدأت غفران، وعادت تتقبل الحديث مع هديل، التي اقتنصت الوقت المناسب لسؤالها عن هذا الإصرار على إعادة جسدها، بعد أن تركها زوجها واختفى؟، لترد: «أنا بنت ال 23 عاماً واحترق جسدي، لعله يعود إذا سمع بأنني تعافيت».

وإن لم يعُد؟ تقول هديل...

لقد ولّى زمن الفرسان، فتتمة الحكاية أن زوجة الفارس توفيت بعد عدة سنوات، ليكتشف القوم أن الرجل لم يكن أعمى، لكنه ادعى ذلك كي لا تسول له عيناه النظر إلى زوجته نظرةً قد تحرجها أو تجرحها. وغفران المكلومة، والغير مهتمة بفذلكات الحكايات والأساطير تحاول بواقعية المرأة الإنسان، أن تمنح زوجها فرصةً للعودة، لكنها تغص بالإجابة على السؤال الأكثر إلحاحاً: حقاً، ماذا لو لم يعُد؟!.

القبنض من شهداء يزورون رجال الأعمال إلى الإعلام والطبل والزمر

لا تزعجوا القبنض، فلم يعد في دكة البدلاء من هو أفضل منه. فال«حجي» كما يحلو له أن يناديه أصحابه وموظفوه، ووصف الحجي في حلب ليس صفة دينية بل هو ثقافة محلية وأسلوب حياة اقتصادي، يستخدمه الصناع في إعادة كل صغيرة وكبيرة إلى رب عملهم «هيك بدو الحجي، وهي سياسة الحجي»، أكثر من أمتع الشعب في مجلسهم منذ زمن بعيد.

«حصافة اللغة» التي أدهشنا بها القبنض في مقطع الفيديو الأخير الذي تم نشره على وسائل التواصل الاجتماعي، ومزجه الجديد لمتلازمة «الإعلام والطبل والزمر»، أعادت إلى الأذهان «نظرية العالم» لصاحبها النمر، لتغدو «الفصاحة والحنكة» سمة عامة للمسؤولين الذين تم اختيارهم «بعناية» لقيادة هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ سوريا الحديث.

ليست المرة الأولى التي يظهر فيها القبنض تحت قبة البرلمان بفيديو يثير سخرية السوريين. فبعد أن أفرغ منذ أيام ما في جيبه من كلمات عن الإعلام وأهميته مقابل الدور الكبير لقنوات الجزيرة والعربية، وكيف ساهم التطبيل والتزمير في عودة المستثمرين إلى حلب. تداولت صفحات الفيس بوك فيديو للقبنض، يشرح فيه كيف أن الشهداء يزورون رجال الأعمال، ويقفون على أبوابهم للحصول على المساعدة، داعياً وزير الصحة «لتخليصهم من هالشغلة».

الحجي الذي دافع عن خطابه بأن هناك من يحاول الشهرة على حسابه، وأنه رجل بسيط يمثل فئة من المجتمع، على حد قوله، بعد لقاء أجرته معه إذاعة شام اف ام الموالية للأسد، لم يسلم من انتقادات السوريين الذين تساءلوا عن إمكانية أن يكون في المجلس «مجنوناً عن فئة المجانين، ولصاً عن فئة اللصوص.... بوصفها فئات من المجتمع». تطورت هذه الانتقادات إلى تهكم طال مجلس الشعب بعمومه لا القبنض وحده «فهيك مجلس بدوا هيك عضو»، و«اليوم عرفنا أنو سوريا بإيدين أمينه»، متحسرين على تلك الأيام التي كان أعضاء مجلس الشعب فيها «يمضون فترة ولايتهم صامتين، مكتفين برفع أصابعهم للموافقة ونمرة السيارة والشقة السكنية التي كانوا يحصلون عليها». فيما اعتبر بعض أهالي مدينة حلب أن إظهار الحلبي بصورة «الأمي صاحب الكرش الفوضوي»، أمر مدروس من قبل الحكومة، مدافعين عن المدينة التي أخرجت من عباءتها نواباً ك «سعد الله الجابري، ورشدي كيخيا، وناظم القدسي».

وذهب بعض الحلبيين إلى القول، وتلك حقيقة، أن القبنض نجح في عضوية مجلس الشعب عن محافظة ريف دمشق عام 2016، علماً انه من مدينة حلب التي حاول الترشح فيها مراراً، وملأت صوره شوارع المدينة، لتبوء كل محاولاته بالفشل، قبل أن ينتقل إلى الترشح عن ريف دمشق في عام 2012، حين استفاق سكان المدينة على صوره مذيّلاً كل واحدة منها باسم أحد نجوم الدراما السورية، لينتهي به المطاف بإعلان انسحابه إثر انتشار فضيحة البروباغندا الانتخابية التي قادها من خلال استغلال أبطال مسلسل البرغوث الذي كان ينتجه كأيمن زيدان وسلوم حداد، معلقاً في حينها على قرار انسحابه ب«إفساح المجال للشبان كي يأخذوا دورهم في الحياة البرلمانية والسياسية في سوريا» ليسخر أحدهم بقوله «كأنوا الحجي صغرلوا كم سنة بالدورة الجديدة».

الضجة الكبيرة التي رافقت الحجي أثارت الكثير من التساؤلات، حول «بائع الفلافل والعصير في العبارة» في سبعينيات القرن الماضي، الذي هاجر إلى أوروبا ليعود بثروة طائلة استثمرها في مجال الإنتاج الفني، فهو يملك شركة قنبض للإنتاج الفني التي أنتجت الكثير من الأعمال الدرامية السورية، بالإضافة إلى مجلة ولادة الثقافية الاجتماعية المنوعة، ليذهب بعضهم إلى القول بأن الحجي تزوج من امرأة انجليزية وورث عنها أموالها، في حين اعتبره الآخرون متورطاً بعمليات غسل الأموال لرجال في نظام الأسد، الغريب في الأمر أن للحجي مريدون من أصحاب

الأقلام الموالية الأسد، دافعوا عن خطابه، واعتبروه ممثلاً للعفوية والبساطة، منتقدين من قام بتصوير الفيديو، وسائلين عن سبب نشره؛ علماً أن الجلسة التي تحدث بها القبنض كانت في نهاية عام 2016، فلماذا انتظر صاحب الفيديو كل هذا الوقت لنشره؟.

راديو Arta

جامعة الفرات في الحسكة جبهة صراع أخرى بين الإدارة الذاتية والنظام

كدر أحمد

«لم أعد أستطيع التركيز على دراستي». هذا ما بدأ به أحمد عبدو من مدينة عين العرب (كوباني)، الذي يكمل دراسته في جامعة الفرات في مدينة الحسكة، بعد أن قطع في وقت سابق تنظيم داعش الطريق أمامه لمتابعة دراسته في جامعة حلب، حيث كان من طلاب كلية الآداب فيها، كلامه. ويرى أحمد أن جامعة الفرات «باتت ضحية الصراع العسكري بين حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) الذي أعلن حكماً ذاتياً مع أحزاب أخرى، والنظام السوري الذي ما يزال يسيطر على أجزاء من المدينة، ومنها الجامعة، التي كانت أمل الكثيرين في إنهاء دراستهم الجامعية».

وفي الشهر الأخير كانت فروع جامعة الفرات في الحسكة، التي تضم كليات عدة، محل أزمة جديدة بين نظام الأسد الذي لم يبق له هناك غير جيبي سيطرة صغيرين في كل من مدينة الحسكة ومدينة القامشلي وما حولهما، والإدارة الذاتية التي تسيطر على كامل الريف ومعظم الأحياء في المدينتين.

بدأت الجامعة في الدخول لمرمى التدخلات العسكرية، ثم تحولت إلى موضوع للمنازعات السياسية بين الأطراف المتصارعة، كما هي اليوم، منذ تعرضها لغزو داعش ونسف معظم أبنيتها ونهب مقتنياتها، وما لبثت أن أصبحت نقطة خلاف، فحاولت الإدارة أن يكون لها موطئ قدم في الجامعة من خلال مكتب اتحاد الطلبة التابع لها، وأدى هذا الخلاف إلى إغلاق الجامعة أكثر من مرة، كما في نهاية العام ٢٠١٦. بعد مفاوضات عسيرة تم التوصل إلى تفاهم مقتضاه تحييد الجامعة عن النزاعات السياسية والعسكرية، بحسب الأكاديمي الدكتور فريد سعدون، الذي تحدث لعين المدينة عن ذلك الوضع الذي عاد إلى التأزم بعد افتتاح الإدارة الذاتية مكاتب للكومينات في الجامعة، الأمر الذي دفع رئيس الجامعة إلى اتخاذ قرار بإغلاق الجامعة. وبناء على توجيهات وزير التعليم العالي -التابع للنظام- فإنه تم «تحديد مهلة زمنية لإغلاق تلك المكاتب» لتعود المفاوضات مرة أخرى، إلى أن تم التوصل إلى تفاهم بالعودة إلى الاتفاق السابق.

فرهاد شيخ -وهو طالب في كلية الاقتصاد بجامعة الفرات- قال لعين المدينة «بعد عشرة أيام أعلنت إدارة الجامعة استكمال العملية التدريسية وفق اتفاق تحييدها عن الخلافات»، على أن هذا الاتفاق مماثل لاتفاق سابق لم يمض عليه سوى بضعة أشهر، حين أوقف التعليم في الجامعة في شهر أيلول من العام المنصرم، بحسب فرهاد، ولكنه لم يطبق حينها كون (حركة الطلبة الديمقراطيين) التابعة ل (pyd) أعادت فتح مقراتها داخل كليات الجامعة. ويتابع فرهاد حديثه بأن هنالك خوف من إعادة فتح مكاتب «الطلبة الديمقراطيين»، لأن أعضاء في الحركة أكدوا بأن «الإغلاق سيكون فقط خلال الامتحانات». الإجراء الذي قد يعرض الآلاف من الطلبة للخطر، إذ يخشى من إغلاق الجامعة ونقل طلابها إلى جامعات سورية أخرى، ما سيدخل الطلاب في متاهات جديدة، ويعرضهم لمخاطر الاعتقال بالسفر إلى مدن تخضع بشكل كامل لسيطرة النظام وقبضته الأمنية.

يرى محسن عبدو-وهو والد أحد الطلبة بجامعة الفرات- بأن افتتاح الجامعة مجدداً جاء بعد ضغط شعبي على الإدارة الذاتية والنظام السوري، إذ يتمسك الأهالي بالجامعة منذ افتتاحها في العام 2006؛ حيث ساعدت الكثير من الشبان الذين لم يكن بإمكانهم تحمل نفقات الدراسة في جامعات أخرى، كذلك الحال لدى الفتيات اللواتي لم يكنّ يستطعن متابعة تعليمهن بعيداً عن عائلاتهن. ويلاحظ العبدو، الذي يبدو قلقاً على مصير ابنه التعليمي، أن الخلافات السابقة بين «الإدارة» والنظام لم تكن تصل إلى هذا الحد بتهديد مستقبل (40) ألف شخص، هم عدد طلاب الجامعة، لا يستطيع معظمهم إتمام دراسته في جامعات أخرى، في حال أغلقت جامعة الفرات أو فروعها في مدينة الحسكة.

في ساحة خلف «كراجات» مدينة الباب، عثر الأهالي في (30) من الشهر الماضي على (3) جثث لقتلى قضوا بطلقات في الرأس، عرّفت بهم أوراق ألصقت بأجسادهم واتهمتهم بالانتماء لتنظيم داعش، مبررة «القصاص» الذي أنزلته بهم جماعة «خفافيش الظلام».

في مدينة الباب..
جماعتان سريتان تعلنان وقوفهما وراء أعمال قتل طالت متهمين بالانتماء لداعش

ياسين العبدالله

بعد أيام، وبتوقيع جماعة أخرى سمت نفسها «طيور الأبابيل»، عثر على جثة بورقة كتب عليها «تم دعس الخارجي محمد سمير شموط، أبو يمان الساحلي». سوى سحب الجثث في الحادثتين الأولى والثانية لم تقدِم السلطات المحلية من مدنية وأمنية وعسكرية على أي إجراء. كذلك كان الحال في حادثة القتل الثالثة التي وقعت منذ أيام ولم تحمل هذه المرة توقيع أي جماعة.

تتحدى حوادث القتل هذه النظم والقوانين التي اعتمدتها السلطات المحلية الثورية، وتناقض في أهدافها الأهداف المعلنة التي جاءت بها عملية درع الفرات، وهي فرض سلطة القضاء والمحاكم المدنية بدل سلطة داعش التي اعتمدت أساليب مشابهة لما اعتمدته «الخفافيش» و«الأبابيل»، من حيث القتل بلا محاكمة تستند على وقائع وأدلة وشهود. وتتحدى هذه الحوادث أيضاً المشروع الذي تريد الحكومة السورية المؤقتة تنفيذه في منطقة «درع الفرات»، بدعم من الحكومة التركية، بجعل هذه المنطقة مثالاً ثورياً سورياً يعبّر عن العدل والأمان.

بعض الفصائل تنفرد بالبت في مصير عناصر تنظيم داعش الهاربين من دير الزور وقبلها الرقة، حيث يلقى القبض عليهم أثناء عبورهم حواجزها المنتشرة في ريف حلب الشرقي والشمالي، وأحياناً باعتماد وسائل بدائية عبر غرف تدقيق على برنامج واتس آب، أومن خلال الحدس والشك لدى العناصر المناوبين على الحواجز، ثم لدى المحققين في المقرات المعلنة والسرية للاحتجاز والتحقيق.

كان هذا هو المشهد السائد خلال العام الماضي تقريباً، غير أن حوادث القتل الأخيرة أظهرت تصميم الجماعتين على مواصلة سعيهما بتصفية كل عناصر داعش والمتعاملين معها، حسب ما جاء في الأوراق التي تركتها الجماعة الأولى على جثث القتلى، «نحن خفافيشُ الليل في مدينة الباب الأبية، نعاهد أهلنا أننا لن نتركَ داعشياً، أو متعاملاً معهم، أو منافقاً لهم من دون حساب، أمثال (علي عفورة) وعصابته القذرة، ومن عمل معهم بالتصنيع، وتسيير أمورهم، وأعانهم في إجرامهم». وتوعدت بالمزيد لمن «خان دماء شهدائنا وتضحيات أبطالنا ويتاجر بكلاب داعش (بالدولار) لصالح مكاسبه الشخصية.. وسيكون الحساب من جنس العمل». وبالتدقيق في أسماء المقتولين، ومنهم من اعتقل في وقت سابق لدى فصائل مسيطرة في جرابلس، ثم تم تسليمه بعدها للمؤسسة الأمنية في المدينة، ليطلق سراحه بعدها؛ فهناك الكثير من الأحاديث الأهلية التي تفيد بكونهم من «المبايعين الأوائل للتنظيم» في مناطقهم.

تركت حوادث القتل انطباعات متناقضة لدى أهل مدينة الباب، فالبعض منهم رأى فيها عدالة وإحقاق حق، خاصة بعد نجاح عشرات الدواعش بالإفلات من المحاسبة علناً، وأبدى البعض الآخر من أهل مدينة الباب قلقه من أن تكون حوادث القتل هذه مقدمة لحالة فوضى وانفلات أمني، وجرائم أخرى قد تتعدى المتهمين بالانتماء لداعش إلى الأبرياء.

تنسب بعض التكهنات السائدة «جماعة خفافيش الليل» لفصائل من الجيش الحر، خاصة تلك الناشطة في منطقة جرابلس حيث يقع حاجز العون، أول الحواجز في منطقة «درع الفرات» بعد مناطق سيطرة «قسد»، وهو الحاجز الأصعب على عناصر داعش الهاربين الذين يحاولون التسلل ضمن جموع المدنيين المارة، وفي حالات كثيرة مرت عناصر خطرة من التنظيم عبر هذا الحاجز وغيره دون أن يكتشفها أحد، وربما بتسهيلات من بعض القادة النافذين في المنطقة، الذين يتهمون بتلقي مبالغ طائلة لقاء تهريبهم الدواعش.

حسب اللغة التي كتبت بها أوراق «الخفافيش»، وحسب الاسم الذي اختارته لنفسها، يستبعد أن تكون ذات طابع إسلامي، وعلى العكس دلت لغة «طيور الأبابيل» على خلفية إسلامية حركية راسخة، وكذلك دل اسمها.

يبقى التساؤل المطروح في الشارع حول ماهية هذه الجماعات والشكل الذي ستتخذه في المرحلة القادمة. وهل يشجع ظهورها وأعمالها على ولادة جماعات أخرى تنتهج الأسلوب السري العنيف ذاته؟.

تمكين المرأة في المناطق المحررة

مصطفى أبو شمس

خاص عين المدينة

انعكست التأثيرات التي أفرزتها الثورة السورية وظروف الحرب على كافة الشرائح الاجتماعية، خاصة المرأة، التي باتت الشريحة الأكثر تضرراً وأهمية في الوقت نفسه، نظراً لما رافقها من تغيرات طالت بنيتها الاجتماعية، من إيمان بدورها الفاعل والإهمال الحكومي لها، واستغلالها وحرمانها من حقوقها، وتفشي ظاهرة زواج القاصرات، ومحاربة المجتمع للمعتقلات والتضييق على المطلقات، خاصة مع سيطرة الفصائل ذات الخلفية الدينية على معظم المناطق المحررة، ما أدى إلى ارتفاع أصوات منظمات المجتمع المدني التي نادت بدعم المرأة، وتمكينها واستهدافها من خلال مشاريع تدريبية وتوعوية لإشراكها في نواحي الحياة عامة.

اقتصرت المنظمات الداعمة لحقوق المرأة وتمكينها في سوريا قبل الثورة على الاتحاد النسائي الذي تأسس عام 1967، والذي سرعان ما أخذ شكل المؤسسة الرديفة لحزب البعث مع بداية حكم الأسد الأب، ليتحول «إلى مقر لاجتماعات نسائية شبيهة بالاجتماعات الحزبية، لا تخلو من الثرثرة والتنظير، وكان وصف «اتحاد العوانس» هو الأكثر تداولاً بين الناس للتعبير عن الاتحاد النسائي» على حد قول إيمان البكري 45 عاماً، المدرسة والناشطة من مدينة حلب. ومع ظهور الأمانة العامة للتنمية في عام 2001 التي تترأسها زوجة الأسد الابن، فُعّل دور المرأة، ولكنه اقتصر على المدن الرئيسة في دمشق وحلب واللاذقية وحمص، واختص نساء الساحل بالمشاريع الأهم للتنمية، دون التوجه نحو المناطق المهملة والمنسية في الأرياف السورية «التي كان يجب أن تكون لها الأولوية في مثل هذه المشاريع».

في السنوات الأخيرة توسعت ظواهر استغلال المرأة وحرمانها من حقوقها في التعلم والعمل، وانتشار ظاهرة الزواج المبكر. فأمثال ك«المرة لبيتا وزوجا» و «بلكي بيجي حدا بيستر عليهون» عادت للحياة من جديد، بحسب سمية كنعان 22 عاماً، التي زوجتها والدتها ل«مهاجر أوزبكي» يقاتل في صفوف هيئة تحرير الشام، بعد استشهاد والدها بغارة جوية في عام 2012، «نحنا تلات بنات وأخونا صغير، أمي زوجتني لتخلص من لقمتي، تزوجني سنة وبعدا طلقني».

عادت سمية إلى بيت أمها لتلد طفلاً صغيراً يزيد من المأساة التي تعيشها، ولكنها أصرت على متابعة الحياة هذه المرة، لتتمرد على الأعراف الاجتماعية في قريتها التي تعتبر عمل المرأة -خاصة المطلقة- إهانة كبيرة. «عملت دورة إسعافات أولية، وتطوعت بالدفاع المدني، وصرت آخد راتب وعيش أنا وابني وأهلي»، الكثير من رجال القرية كانوا يسيئون لسمية ويجرحونها بالكلمات البذيئة، ولكن هذا الأمر بدأ بالانحسار بعد أن ساهمت في تمريض العديد من نسائهم وأطفالهم، وتوجه الكثير من النساء إلى العمل في هذه المهنة، بعد أن تم تخريج 300 متدربة في الإسعافات الأولية ومحاور الإنقاذ والتعامل مع الإصابات الكيماوية في مدينة إدلب عام 2015.

تدين سمية مثل غيرها من نساء كثيرات في نجاح تجربتها لمنظمات المجتمع المدني المختصة بشؤون المرأة في المناطق المحررة، حيث ساعدت هذه المنظمات الكثير من النسوة على تعلم مهن واكتساب مهارات تؤهلهن للحصول على فرصة عمل في ظروف اقتصادية متهاوية.

في مدينة الأتارب أسست الإعلامية ميسا المحمود مركز «بناء الأسرة»، هدفه تمكين المرأة وتدريبها لترتفع فرصها بالحصول على عمل، وتوعيتها لتصبح فاعلة وصاحبة قرار؛ إلى جانب اهتمام المركز بقضايا المعتقلات السابقات وإعادة دمجهن في الحياة العامة، بعد نبذهن من قبل المجتمع نتيجة لتبعات ظروف الاعتقال.

ترى ميسا، وهي أم لأربعة أطفال تعيلهم بعد انفصالها عن زوجها، أن مثل هذه الدورات التدريبية، التي يقوم بها مركز بناء الأسرة، والمراكز الأخرى المنتشرة في المناطق المحررة، ك «الهيئة النسائية ودولتي ومكتب المرأة في المجلس المحلي لمدينة الأتارب وبعض المنظمات كمنظمة تمكين»؛ وإن لم تستطع متابعة النساء بعد تخريجهم من الدورات، لكنها قدمت لهن المعرفة اللازمة للحصول على عمل في «المجالس المحلية والشرطة الحرة والدفاع

المدني والمهن اليدوية كحياكة الصوف وإعادة تدوير الأشياء التالفة و الخياطة وتصفيف الشعر....»

الإعلامية التي اضطرت لمغادرة مدينة حلب في عام 2012، بعد تعرضها للملاحقة من قبل الأمن السوري لمشاركتها في المظاهرات ونقل الأدوية والسلاح للمتظاهرين والعمل الإغاثي، استطاعت بمساعدة عشر نساء من حملة الشهادات أن يؤسسن في نيسان 2017 مركز بناء الأسرة بجهود فردية، استهدف 250 امرأة في دورات الصحافة والتصوير الضوئي والفوتوشوب وقيادة الحاسوب ومحو الأمية والمهن اليدوية، بالإضافة إلى 150 طفلاً في نادي الطفولة، والمشاركة مع اتحاد نسائم سوريا بمعرض فني للأعمال اليدوية، ويجري التحضير حالياً لمعرض جديد يوم السبت المقبل.

صار لأم محمد -زوجة معتقل في سجون النظام- مهنة تعتاش منها، بعد أن تعلمت حياكة الصوف في مركز بناء الأسرة، وأقامت السيدة مريم دورة تدريبية للنساء في المركز بعد أن تدربت وباتت جزءاً من الفريق، «البنات الي حضرو كتار، وأهم الشي توفر الرغبة والإرادة».

وللشرطية علياء السعيد مسيرة كفاح من نوع مختلف، فالمجتمع المحافظ التي عاشت فيه لم يعتد أبداً رؤية امرأة بملابس عسكرية سوى في التلفاز، وقد زاد هذا الأمر من صعوبة القرار الذي اتخذته. فزوجة الشهيد كانت قد اتخذت قرارها بعد أن خضعت لدورة في قيادة الحاسوب على التطوع في الشرطة الحرة، هذه المرة كان الأمر مختلفاً عن النساء اللواتي تطوعن في صفوف داعش كنساء للحسبة، وعن النسوة اللاتي كانت تشاهدهن في أسواق إدلب في سيارات كتب

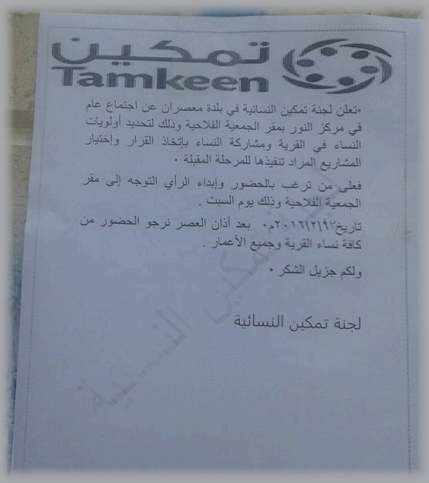
تمكين
Tamkeen

•تعلن لجنة تمكين النسائية في بلدة معصران عن اجتماع عام في مركز النور بمقر الجمعية الفلاحية وذلك لتحديد أولويات النساء في القرية ومشاركة النساء باتخاذ القرار واختيار المشاريع المراد تنفيذها للمرحلة المقبلة .

فعلى من ترغب بالحضور وإبداء الرأي التوجه إلى مقر الجمعية الفلاحية وذلك يوم السبت .

تاريخ٢٠١٦/٢/١٩م بعد أذان العصر نرجو الحضور من كافة نساء القرية وجميع الأعمار .

ولكم جزيل الشكر .

لجنة تمكين النسائية

عليها الشرطة النسائية- جيش الفتح، إذ اقتصرت مهمتهن على ملاحقة النساء في الشوارع للتفتيش على الالتزام باللباس (الشرعي) الكامل، والمكياج ومراقبة المدارس والتفتيش عن مخالفات ترتكبها الطالبات داخل الصفوف، «الشرطة الحرة شيء مختلف، عملي في الأرشفة غير حياتي نحو الأفضل، واستطعت اخيراً أن أكتشف نفسي، وأمتلك قراري، حتى لو اضطرني الأمر في كثير من الأحيان لمواجهة سخرية العديد من أفراد المجتمع الذي أعيش فيه، والسلطات العسكرية للفصائل المقاتلة بخلفية دينية، والتي ساعدت على الحد من نشاط المرأة وحريتها». كما استطاع فريق نسائي في نهاية عام 2016 في مدينة الأتارب من إنجاز صيانة كاملة للطرقات في البلدة بدعم من منظمة تمكين ، بحسب تقرير نشرته قناة أورينت.

على الرغم من اعتراف حكومتي المناطق المحررة والمجالس المحلية بأهمية دور المرأة، وضرورة إشراكها في الحياة السياسية والاجتماعية، إلّا أن هذا الاعتراف بقي مقتصراً على الكلام، إذ تخلو الحكومتان من تواجد نسائي في أي من حقائب وزاراتهما، بل على العكس تماماً تم الاستغناء عن وزارة الثقافة وشؤون الأسرة التي شكلتها الحكومة المؤقتة في عام 2013، وجرى تحويلها إلى (هيئة الأسرة ودعم المرأة)، كما تم إهمال مكتب المرأة في مجلس محافظة حلب الذي تشكل في عام 2016 «ليعاد تشكيله مرة أخرى في منتصف 2017، بموظفة واحدة تتابع نشاطاتها باسم مجلس المحافظة بدون راتب» بحسب محمد شحادة مدير المكتب المالي في محافظة حلب، وتشارك المرأة في عدد قليل من المجالس المحلية لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، أهمها المجلس المحلي في مدينة الأتارب، بعد أن فازت عائشة بكور في الانتخابات التي خاضتها 5 سيدات مقابل 96 رجلاً، لتترأس اليوم مكتب حماية المرأة والطفولة، ومكتب المرأة المشكل في المجلس المحلي لمدينة كفرنبل في محافظة إدلب الذي يضم موظفتين.

هناك 67 منظمة تعنى بشؤون المرأة، سبعة منها في مدينة حلب، من أصل 835 منظمة تعمل في الداخل السوري، بحسب إحصائية قامت بها منظمة مواطنون لأجل سوريا، وإن كانت هذه الإحصائية ليست دقيقة، ولكنها تقارب الواقع. معظم هذه المنظمات تعمل بشكل منفرد ودون العودة إلى المجالس المحلية أو الحكومات، تقول ميسا المحمود مديرة مركز بناء الأسرة «لا نتبع لمكتب المرأة في مجلس المحافظة، فقد أبلغنا رئيس المجلس أن تشكيل هذا المكتب يجب أن يتم بشكل توافقي، ولكنهم قاموا بإحداث المكتب دون مشاركة المنظمات و المراكز التي تعنى بشؤون المرأة»، «وعلى الرغم من ذلك، قدم مركز بناء الأسرة أوراقه للترخيص في مجلس المحافظة، كما يجري التنسيق مع المجلس المحلي في الأتارب للتعاون معهم من خلال مذكرة تفاهم».

صفحة بناء الأسرة على الفيسبوك

ناصر الحلو

مخابرات النظام في حلب تقتل موظفاً في الأوقاف التابعة له

ومحمود عكام يحيل الجريمة للقدر

محمد سرحيل

منتصف ليل الثالث عشر من كانون الأول 2017 تعرض (أبو بدر) وابنه الشابّ لإطلاق نار كثيف، من عناصر مخابرات النظام في حاجز دوار الحلوانية في طريق الباب، ما أدى إلى دخوله في غيبوبة ووفاته في العناية المشدّدة بعد ستة أيام، فيما تعرض ابنه للإصابة، وحسب ما نشرته صفحة أخبار عندان نقلاً عن مصدر من مناطق النظام، أن الأمن منع نقل جثمانه إلى حي طريق الباب، ولم يسمح بإقامة تعزية له هناك، لتتم الصلاة عليه وتشييعه من جامع التوحيد في حي العزيزيّة، وتطوى سيرته سريعاً دون معرفة أسباب قتله.

و(أبو بدر)، هو ناصر خراط الحلو من مواليد عام 1960، يعمل منذ أكثر من 15 عاماً كمراسل لمديرية الأوقاف في محافظة حلب، مهمته إيصال

بعد الحادثة في العناية المشددة

قرارات الأوقاف إلى المساجد والأئمة. عُرف بتواضعه الشديد وحب الناس له. يشهد له الكثيرون بتفانيه في عمله، وغيرته على جوامع حلب وأوقافها، إذ لم يكن ليتردد في أداء أي مهمة تتعلق بخدمة بيوت الله، وإن كانت خارج اختصاصه الوظيفي. تراه أحياناً يغسلُ هذا الجامع أو ذاك من شدة حرصه. يصفه البعض بأرشيف أوقاف حلب وبيت سرّها، فهو يحفظ أسماء جوامع ومساجد مدينة حلب وبعض جوامع الريف أيضاً، يعرف أماكنها بدقة، وقد تسمع منه أسماء مساجد قديمة ربما تسمع اسمها للمرة الأولى. يعرف مشايخ حلب كبيرهم وصغيرهم، النزيه منهم والمنتفع، الشريف الصادق أيضاً ورجل المخابرات المنافق. يروي لنا أحد المقربين منه، بأن محمود قول آغاسي (أبو القعقاع) لدى استلامه منصب مدير الثانوية الشرعية في حلب، حاول استمالته دون جدوى. عمل الحلو أيضاً في الخسروية الشرعية في حلب، كما شغل منصب الإمامة في جامع "أصلان دادا" أحد أبرز المعالم الأثرية والدينية في مدينة حلب.

كان من المتوقع أن تضجّ أروقة المساجد بمن فيها من أئمة وموظفين وغيرهم بنبأ مقتله، فضلاً عن المواقع والصفحات، فمن لا يعرف الشيخ ناصر صاحب الدراجة النارية التي رافقته طيلة حياته، يطوف بها على بيوت الله، ومن لا يحبه ويشهد له بحسن السمعة، بل من ينسى ابتسامته التي لا تكاد تفارقه!.

إلا أن الواقع كان مختلفاً، فقد مرّ نبأ وفاته مرور الكرام إلا قليلاً. لا شكّ بأنّ خوف الكثيرين من بطش النظام دفعهم للسكوت، في حين أنّ قسماً منهم اكتفى بالترحم عليه في مواقع التواصل، مع تجنب الإشارة إلى سبب الوفاة، وهذا قد يكون مفهوماً أيضاً، أما أن يرثيه مفتي حلب (د. محمود عكام) في موقعه على الإنترنت بقوله: "اختطفه القدر شهيداً، لتكون خاتمته الطيبة على نسق أعماله الخيِّرة)، فهذا يدفعنا للتساؤل لماذا تكلّم العكام اليوم عن شخص لا تربطه به معرفة قوية، فيما سكت قبل عام ونصف عن مقتل موجه التربية الإسلامية محمد قطان، وهو تلميذه المقرّب، حينما استدعته المخابرات الجوية وأعادته جثة هامدة لأهله؟. هل بدأ بالتعبير عن مواقفه الموالية بشكل أوضح بعد تهجير حلب، سيّما وأنّه اتّبع سياسة إمساك العصى من المنتصف مطلع الثورة، وهل بات القدر مصطلحاً يستخدم لإضفاء الشرعية على جرائم الأسد وزمرته؟.

ربما كذلك، ففي سورية الأسد أن تُقتل اعتداءً وبغياً واعتباطاً، وأن تفارق أحبتك وتفقد حياتك هدراً بلا أدنى قيمة أو محاسبة ولا إدانة أو إشارة إلى القاتل، فذلك من الخواتيم الطيبة، وإذا كانت (الخواتيم الطيبة على نسق الأعمال الخيّرة) بهذا الشكل فكيف تكون (الخواتيم

محمود عكام

الشنيعة المريعة على نَسَقِ الأعمال الشريرة يا ترى)!.

وردّاً على هذا التوظيف الديني لمسألة القضاء والقدر يقول د.إبراهيم الديبو (دكتوراه في العقيدة الإسلامية) في اتصال أجرته معه عين المدينة: هذه العبارة، وإن قصد قائلها المعنى المجازيّ، إلا أنّ ظاهر كلامه يوحي بنسبة الشر لله عز وجل، فهو ينسب الجريمة والقبح لله، ويتناسى مرتكب هذا القُبح، ومع أن الخير والشر كله من الله خلقاً، فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: "والخير كله في يديك، والشر ليس إليك"، ففعل القتل وإرادة السوء التي توجّهت للقتيل هي التي ينسب الشر والسوء لها، أما القدر فهو ما يمنحه الله من إمكانيات للإنسان خيراً كانت أم شراً، واستعمال هذه الإمكانيات ينسب للإنسان وليس للقدر!.

الشيخ انس الطويل- الثاني من اليسار - بعدسة الكاتب- خاص

في جنوب دمشق

نكسة لشيخ المصالحة أنس الطويل

وضاح الشامي

في 28 من الشهر الماضي قاد الشيخ أنس الطويل، رئيس لجنة المصالحة في بلدة ببيلا جنوب دمشق، مظاهرة ضمّت (50) شاباً من أتباعه، وصلت إلى أول حاجز للنظام في حي سيدي مقداد وتوقفت هناك، ليجري الشيخ اتصالاً هاتفياً علنياً برئيس فرع الدوريات، مطالباً إياه بحل سريع لأبناء بلدات ببيلا وبلدا وبيت سحم الذين سئموا الحرب، بحسب قوله.

اتفق الشيخ وضابط المخابرات -خلال الاتصال- على موعد يتجه فيه الشبان الراغبون بتسوية أوضاعهم إلى دمشق. وفي اليوم التالي وزّع الشيخ أوراق استبيان خيّر فيها الشبان بين العودة إلى «حضن الوطن»، أو الخروج إلى الشمال فوراً، أو الانتظار إلى حين القضاء على تنظيم داعش وإجراء التسوية الشاملة.

أغضبت تصرفات الشيخ فصائل جيش الإسلام، وجيش الأبابيل، وفرقة دمشق، والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وألوية الفرقان، وألوية سيف الشام، التي أطلقت حملة ضده فهرب إلى دمشق، ووقع أتباعه أسرى بقبضة الفصائل التي استولت على سلاحهم الذي تسلموه من النظام قبل عدة أسابيع.

انقسم الرأي العام بين مؤيد لاجتثاث مشروع الشيخ ومُعارض له. ورأت الأغلبية أنه كان من الأفضل احتواء الشيخ ولجنة مصالحته التي تضم شيوخاً آخرين أهمهم الشيخ عبدو الهندي والشيخ صالح الخطيب من بلدتي بلدا وبيت سحم.

استمد الشيخ الطويل شرعيةً رسخت أدواره عبر تفويضه، من قبل فصائل المعارضة، للتفاوض بعد موت (200) شخص جوعاً ومرضاً في حصار عام 2013. إلا أن وحدة الحال التي تكوّنت بينه وبين ضباط الفروع الأمنية جعلت منه ضابطاً مُخترقاً لكلّ المُكوّنات الاجتماعية في جنوب دمشق. واستثمر منبر مسجد الكريم في بلدته ببيلا ليُحرّض على الثوار، ويُذكّرهم بضعفهم بين حين وآخر، وخرج عن المسار المُتفق عليه بين الجميع، بحسب ما قال الناشط الاجتماعي عبد الرحمن الأحمد لـ«عين المدينة».

يؤكد الأحمد أن ملف المنطقة شائكٌ ومُعقّد بسبب تعدد القوى المسيطرة في المحيط الجغرافي للبلدات الثلاث، بلدا وببيلا وبيت سحم، إذ تجاورها من الجنوب منطقة السيدة زينب، المعقل الرئيسي للميليشيات الشيعية متعددة الجنسيات، وتحدّها من الغرب أحياء الحجر الأسود والتضامن ومخيم اليرموك، الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش، وتسيطر قوات النظام على جوار البلدات الثلاث في الشرق والشمال. ويقدر عدد سكان البلدات الثلاث بنحو (100) ألف نسمة، ثلثهم تقريباً نزحوا من المناطق المحيطة، منهم (13) ألف لاجئ فلسطيني نزحوا من مخيم اليرموك.

ينشط في البلدات الثلاث (15) مجلساً محلياً والعديد من التجمعات ذات الصبغة المناطقية أو العشائرية. ولكلّ فريق هدف يعمل على تحقيقه، فأبناء حي الحجر الأسود يُفاوضون النظام للتعاون من أجل إخراج تنظيم الدولة من حيهم والعودة إلى بيوتهم، وكذلك يسعى أبناء مخيم اليرموك. وجاء إخراج النظام لقادة من تنظيم داعش ليؤكّد أهدافه من وراء التفاوض، ودور الشيخ الطويل الذي يعمل لحسم ملف المنطقة كاملة وإعادتها بأسرع ما يمكنه للنظام، ما استفز الفصائل للانتفاض بوجهه.

كإجراء عقابي، أغلق النظام المعبر الإنساني الوحيد، ليذكر الناس بأيام الحصار. وخرجت مظاهرات نسائية مؤيدة للطويل ومطالبة بخروج الفصائل من المنطقة، وشكلت لجنة سياسية جديدة مثلت أطيافها المتنوعة، عدا بلدة ببيلا التي ارتأى وجهاؤها بقاء مقعدها شاغراً، قبل أن يعاود النظام فتح المعبر مطالباً اللجنة بإرسال وفدها للتفاوض.

وبحسب الناشط الإعلامي فؤاد المحمد، فإن نظام الأسد لا يريد أن يضحّي بخطته التي ينفذها منذ ثلاثة أعوام مقابل الاحتفاظ بالشيخ الطويل، خصوصاً أنه فهم رسالة الفصائل وهدفهم الاستراتيجي في التمسّك بالالتزام بقرار مشروع خفض التصعيد المُنبثق من مؤتمر أستانة، في 29 كانون الأول من هذا العام. ويؤكد أن فصائل المعارضة استطاعت استيعاب الاستفزازات المتكررة من تيار المصالحة لفترات طويلة، وليست لديها أي مشكلة في وجودها على الأرض. بل وأكثر من ذلك، تستفيد من وجودها لتبقى المنطقة في حالة ضياع رسمي، بين هويتها الثورية التي تحمّلها أعباءً كبيرةً، بدءاً بالقصف واستمرار الحصار الغذائي وصولاً إلى التهجير، وبين هويتها المصالحة المحافظة على توازن تشكّل تحت الأمر الواقع، بوجود داعش من جهة والميليشيات الشيعية من جهة أخرى.

نساء في دمشق: بين تعاطي الحشيش واعتياد المسكنات

تعبيرية من الإنترنت

ريا فارس

في مجتمع يغرق في الحرب، ينتشر الحشيش كالنار في الهشيم، بين الفئات العمرية الشابة التي لا ترى غضاضة في تعاطيه، وتستسهل النساء والفتيات تدخينه، خصوصاً أن لا سمعة سيئة له في ما يخص الإدمان والتعود، إلا ما يبدو تزمتاً اجتماعياً.

لمى طبيبة أسنان في الثامنة والعشرين من العمر تقول: «كل فترة بجيب شقفة وبدخنا، بتساعدني إني استرخي وكمل حياتي». لا تشعر لمى بالحرج من الاعتراف بتدخينها الحشيش أمام المقربين منها، وترى أن هناك تهويلاً اجتماعياً بخصوص مضارّه والاعتياد عليه، خاصة وأنه مادة يتم تداولها في بعض دول العالم بشكل قانوني. وعن توفره قالت لمى: «لم أكن أعاني بتأمين حاجتي منه إلى وقت قريب»، فلسبب ما ظهرت حالة من التشديد الأمني تجاه مادة الحشيش، رغم انتشار شائعة خلال السنوات السابقة عن تسهيل الدولة انتشاره في السوق، من وجهة نظر لمى الأمر على الأغلب مرتبط بسيطرة بعض التجار على السوق، خاصة أن سوق الحشيش في البلد يسيطر عليه بعض المتنفذين في الدولة، يتنافسون فيما بينهم فيظهر هذا التناقض من فلتان وتسيب من جهة، وتشديد من جهة أخرى.

رندة خريجة اقتصاد تعمل في أحد البنوك الخاصة، في الثانية والثلاثين من عمرها. قبل سنوات همت بالجلوس على كرسي أزاحه شقيقها من تحتها بمزحة ثقيلة، فوقعت وأصيبت إصابة بالغة في الظهر، أقعدتها طريحة الفراش عاماً كاملاً. وبعد انتهاء العلاج بوسائله المختلفة، لم تتخلص من الألم «ما بقدر نام بالليل، جربت كل شي، الوجع بيحرك لأتفه سبب برد، تعب، خوف، ومع الحرب ما في مجال إني استرخي أو ارتاح، القلق مزمن، والوجع ما بروح». صار الألم مزمناً واعتادت رندة على المسكنات. «كانت حبة الترامادول بتكفي لتسكين الألم، مع الوقت صارت الحبة حبتين وتلاتة وتعودت عليه». تحولت معاناة رندة اعتياداً على أكثر المسكنات المركزية شيوعاً «ما بعرف كيف صار هيك، يمكن إحباط، يمكن يأس، يمكن الوضع». حاولت مراراً التخلص من معاناتها، إذ خضعت للعلاج في المنزل بإشرافٍ طبي لأكثر من مرة. فشلت جميع محاولاتها «وكأني عم دور بحلقة مفرغة، كل ما وقفت المسكنات بيرجع الألم من أول وجديد».

بات تعاطي الحشيش والإقبال على المسكنات أمراً شائعاً في ظل الحرب، فظهر لدى الشبان أو الفتية الأصغر سناً ميل لتناول المسكنات، فيما تتجه الفئات العمرية الأكبر لتعاطي الحشيش المخدر، على اعتبار شائع بأنه ضرره أقل.

توفيت والدة رانيا وهي بعمر الثلاث سنوات، وتزوج والدها امرأة حولت حياة الطفلة إلى جحيم. «مات أبي قبل ما كمل الـ 15 وصار مستحيل إني ضل عايشة مع مرته، انتقلت من بيت لبيت عند قرايبين ومعارف». تقاذفتها الحياة هنا وهناك، بعض الأقرباء ساعدوا أحياناً والبعض الآخر تخلى عنها. في التاسعة عشرة من عمرها تزوجت للمرة الأولى من أحد أقربائها على مبدأ الزواج سترة. «لما ضربني أول مرة، رحت عالصيدلي عطاني مسكن قوي بروكسيمول». لم ينته زواج رانيا إلا بعد أن اعتادت على البروكسيمول «كنت آخد ظرف كل يوم لإقدر نام، لإقدر آكل، لإقدر أتحمل الحياة». باءت كل محاولاتها للإقلاع عنه بالفشل، تزوجت بعدها للمرة الثانية، وحين عجزت عن الإنجاب اصطحبها زوجها إلى لبنان للعلاج، دخلت المصح مرتين: «الله عوضني بزوجي التاني، طيب ومحترم تفهم حالتي». صارعت رانيا اعتيادها على المسكنات حتى تخلصت منه، لكنها في ظل الحرب وتوفر الحشيش انتقلت لتدخينه قبل خمس سنوات، وترى أن أذاه أخف وطأة من المسكنات. لكنها تعاني من اكتئاب واضطراب في مزاجها حين تنقطع عنه.

المسكنات نوعان محيطية ومركزية، المحيطية مثل السيتامول والبروفين ولا تسبب الاعتياد، أما المركزية ويطلق عليها الأفيونية كالبروكسيمول والترامادول فهي من تسبب الاعتياد، وهو ما يعني أن المريض لا تكفيه الجرعة الموصوفة ويحتاج إلى زيادتها بعد فترة. يرى طبيب نفسي (طلب إغفال اسمه) أن الاعتياد على المسكنات شائع عند المصابين بأمراض نفسية معينة، كاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، واضطراب الشخصية الحدية، إضافة إلى الاكتئاب والقلق، وأن نسبة الرجال المعتادين عليها أكبر بكثير من النساء بشكل عام، ولا مجال لأرقام دقيقة في ظل ظروف الحرب الحالية.

وعند التدقيق في الحالات، يرى المراقب أن اللجوء إلى هذه الحلول يأخذ مكانه على حساب العلاج النفسي في حالات القلق والاكتئاب، في مجتمع يرى في الطب النفسي مذمة أكثر من الحشيش وتعاطي المسكنات.

مؤيدو النظام في الساحل خائفون من سقوط الملالي في إيران

مراد الحجي

من صفحة قاوم أونلاين على الفيسبوك

بالطبع سيُنظر إلى الحراك الشعبي الإيراني ضد نظام الملالي بعيون مؤيدي النظام السوري على أنه «مؤامرة»، وستتكرر الألفاظ والتوصيفات -بتناقضاتها الكوميدية أحياناً- التي كانت هذه الفئة تنعت بها الثورة السورية، بل وستولد روايات لم ترد أصلاً في الإعلام الإيراني ذاته، سيكون هنالك مندسون وذباب وغواصات أمريكية وضباط إسرائيليون ... يحيطون بالشوارع الإيرانية، سيكون هناك طباخون يلفون للمتظاهرين الصاندويش بالعملة الإيرانية، ويدسون في جيوبهم حبوب الهلوسة.. ستتسق شخصية المؤيد للنظام السوري مع ذاتها ومحيطها، لتكون بجدارة ابنة المعجم اللغوي الذي تشكل في بيئة المؤيدين المغلقة في الساحل السوري.

هنا في اللاذقية وهناك في طرطوس وأريافهما، التي يغفو سكانها براحة على وقع أصوات الطائرات الروسية في مطار حميميم، تتردّد الروايات اليومية في تحليل الراهن الإيراني، مرفقة بكلمة «طبعاً»، فـ «طبعاً فشل المؤامرة في سوريا، سيؤدي إلى بحث المتآمرين عن أرض أخرى لتمريرها، من أجل ليِّ ذراع المقاومة». لكن خلف هذا الخطاب هناك خوف ما، يشكل المنشأ الجذري لمجمل تفاصيله، يصبُّ في عمومه بالخوف على النظام السوري بعد طمأنينة دامت أكثر من سنتين، فماذا إن ضعفت قوة الداعم الأساسي للنظام «المتهالك»؟.

«ولو بلكي كبرت؟»، سؤال طرحه أحد زبائن بقالية أبي عماد في حي الفاروس في اللاذقية، عند ورود خبر عن الأحداث في إيران، في التلفاز الذي يعلقه أبو عماد في المحل، عبر تلفزيون سما أو الدنيا سابقاً، فأجابه أبو عماد «شو بصير إذا كبرت برأيك؟»، فرد الزبون الذي يقف 8ساعات يومياً على حاجز تابع للدفاع الوطني بالقرب من أسوار جامعة تشرين «منتبهدل»، استفاض أبو عماد بحديثه قائلاً «وليش لنتبهدل؟»، عندها فتحت أسارير الزبون ليقول «لأنو هيي اللي عم تدعمنا، ومقاتلينها معنا بكل الجبهات، ومقاتلينا المحترفين عم يتدربو عندها، وعم تبعت مصاري، وتدعم الاقتصاد.. يا خيي إذا كبرت بتسحب قواتها، وبيسحبو الكبير والصغير عالجبهات عنا».

مخاوف تردّدت على لسان العشرات مع بداية زخم الشوارع الإيرانية، فمن يتغاضى النظام السوري عنهم اليوم في عدم التحاقهم بجيشه -وهم في الساحل السوري بالآلاف- سيكون بحاجتهم إذا ما سحبت إيران قواتها. هذا المفهوم البسيط، والذي قد لا يشكل سوى تفصيلاً تافهاً ينتج عن تأزم وضع النظام الإيراني، وسحب قواته من سوريا، هو محط تفكير آلاف الشبان الذين يدركون تماماً أنهم محميون بعناصر إيرانية وطيران روسي، وأن غياب أحد هذين التشكيلين سيؤدي لقلب الطاولات على رؤوسهم، وخلع أبواب منازلهم من قبل الشرطة العسكرية، التي ما زالت في طور البحث غير الجدي عنهم في الأسواق دون اقتحام المنازل وسحبهم قسراً.

عبادة أبو ميرزا (اسم وهمي) من مصياف، يلخص لعين المدينة مخاوف سكان المنطقة مما يجري في إيران، بالقول «هم يعرفون تماماً أن أي تهديد للسلطة الحاكمة في إيران، ستكون أولى نتائجه تغيير شكل الصراع في سوريا، وقلب الموازين ضدهم، فروسيا ليست كافية كونها ليست قوة موجودة على الأرض بحجم القوة الإيرانية. ويعرفون أن قيمة المقاتل السوري كعنصر في جيش النظام تساوي تقريباً الصفر، فهو عنصر على حاجز أو مجند تكميلي رديف للقوى الأجنبية من إيرانية ولبنانية محترفة، فخروج أولئك سيؤدي بأصغر نتائجه إلى زج كل من هو قادر على حمل السلاح في الجبهات، وبأكبر نتائجه سيقود لفقدان كل ما سيطر عليه النظام سابقاً، وهو تهديد جدي كبير للنظام في دمشق، إن لم تسبق الأحداث الميدانية رؤى وخرائط سياسية جديدة نابعة مما يحدث في إيران اليوم.. إنها كارثة مهولة بالنسبة لهم، فموقفهم اليوم لا يختلف عن موقفهم في بداية الثورة السورية، بل هو أسوأ، فالنظام السوري ارتكب ما ارتكبه، ولم يعد بإمكانه فرض نفسه أصلاً إلا بذراع خارجية لها قوّة إيران».

لم ترفع الأعلام الإيرانية بعد في اللاذقية أو بقية المدن على الملأ، كما هي الأعلام الروسية، وما زالت مظاهر الاحتفاء بالدعم الإيراني للنظام السوري مقتصرة على صور ترفع في بعض الأماكن، أو على زجاج بعض السيارات التي تضع خامنئي أو روحاني أو نصر الله إلى جانب الأسد. إلا أن ما قد تجلبه الأيام القادمة للشوارع الإيرانية، على الرغم من تمكن سلطاتها هناك من طمس المشهد، قد يجعل من التمسك الزائد بحكم الملالي نتيجة الخوف من التهديدات، حالة غريبة من نوعها حد السوريالية، لن تقف عند رفع الصور والأعلام والدعم المعنوي..

اعتراضات سراسري ... تسعة أيام قوضت جمهورية «آيات الله» المنهكة

سحبت السلطات الإعلامية في إيران الخبر السوري من الصفحات الأولى في صحفها الرئيسية، ومن مقدمات نشراتها الإخبارية، فيما اعتبرت محاولة رسمية لمواراة حقيقة العلاقة بين التورط الإيراني ذي الكلفة المتفاقمة بشرياً واقتصادياً واجتماعياً في دعم نظام بشار الأسد، وبين الاحتجاجات العنيفة التي اندلعت على نحو مفاجئ في عدد كبير من المدن الإيرانية، واستمرت أكثر من أسبوع، قبل أن تسحقها آلة القمع الرسمية بفروعها العسكرية والأمنية والقضائية.

سهيل نظام الدين

المفارقة الصارخة تكمن في توازي عودة تطبيقي «تيلغرام» و«أنستاغرام» إلى فضاء الإتاحة في إيران، بعد حجبهما طيلة فترة الاحتجاجات -فيسبوك وتويتر ممنوعان أصلا وبصورة مستمرة-، وإطلاق سراح نحو 400 من أصل 3700 إيرانياً اعتقلوا، وقتل منهم 15 تحت التعذيب في سجني «ايفين» و «رجائي شهر» سيئي الصيت، سلمت جثث 8 منهم لذويهم، فيما لا تزال 7 أخرى بانتظار توقيع الأهالي على إقرارات تفيد بأنهم قضوا نتيجة ظروفهم الصحية السيئة، مع سلوك إعلامي ودعائي يخلط بين برواغندا معلنة تحيل كل القضية إلى مؤامرة خارجية، وبين توجيهات غير معلنة تحاول امتصاص أسباب النقمة الاجتماعية.

لم يكن ثمة شيء في حسبان النظام حتى ليلة 27 كانون الأول 2017. لكنّ اليوم التالي حمل مفاجأة في موقع كان يعتبر مضموناً في أكثر فترات الاضطرابات. انفجرت احتجاجات صاخبة في (مشهد) ثاني كبريات مدن البلاد، والتي تضم أحد أقدس الأضرحة عند الشيعة، وكان الطابع الأوّلي لهذا الاحتجاج الذي تمّ إنكاره كلياً في البداية مطلبياً، يتعلق بالضائقة الاقتصادية التي تعيشها طبقات واسعة من المجتمع؛ بعد أن خاب أملها في عوائد الاتفاق النووي، وتبخّرت إلى سراب كتلة الوعود البرّاقة بانفتاح وتدفّقات مالية، وصفقات كبرى مع شركات عملاقة -وقّع بعضها بالفعل، لكنه علق في متاهة العقوبات الأميركية غير المرتبطة بالبرنامج النووي-؛ وبعد أن استهلكت الأموال المفرج عنها غربياً في الإنفاق العسكري المتضخم بفعل التورط المتزايد في سوريا بالإنفاق المباشر دعما لنظام الأسد، وبكتلة تمويل حشد ضخم من المليشيات الطائفية السورية وغير السورية، وأيضا في تزويد الحوثيين في اليمن بالأسلحة والصواريخ البالستية؛ مع ارتفاع مضطرد في تسليح حزب الله، المستهلك الأكبر لأموال الإيرانيين ضمن شبكة الإرهاب التي تديرها حكوماتهم.

• سوريا وغزة .. ولبنان

سرت النار سريعاً في هشيم الاحتقان الاجتماعي، ومع حلول اليوم الثاني كشفت الاحتجاجات عن اسمها الحقيقي «اعتراضات سراسري» (أي مظاهرات شاملة)، وعن مطالب سياسية تدخل في صلب مقدسات منطق الحكم والسلطة في إيران، «دعوا سوريا وشأنها .. واهتموا بنا» «لا غزة ولبنان .. روحي فداء بلادي إيران». كان هذا مؤشراً لا يمكن الخطأ -أو ادعاء الخطأ- في فهمه. الشارع الإيراني يربط أزماته الداخلية بتورطات خارجية لا يرى من ورائها طائلاً، سوى مزيد من الفقر والعزلة الدولية، وهو غير مقتنع على الإطلاق بالدعاية الثورية التي لم تتوقف منذ الثورة الخمينية قبل 38 عاماً، عن عظمة الدولة وقوتها ودورها النهائي والقيامي في مقارعة الاستكبار و«الشيطان الأكبر».

وحين لم تستجب السلطة للشعارات «الوسيطة» في اليومين الثاني والثالث للاحتجاجات التي انتشرت في شمال وغرب البلاد، تحوّل الأمر إلى استهداف مباشر لكل ما تعتبره آلة الحكم ممثلاً لها، من مخافر الشرطة، ومراكز مليشيات التعبئة «الباسيج»، والحوزات الدينية، وصولاً إلى صورة المرشد الأعلى علي خامنئي ذاته؛ الذي بات اسمه المعلن في شوارع 70 مدينة بينها طهران، بل و(خمين) مسقط رأس الخميني نفسها «الديكتاتور». وتحول الشعار الشهير «مرك بر أمريكا» (الموت لأميركا) إلى «مرك بر ديكتاتور».

لم تكن سوريا التي رفع علم ثورتها في إحدى المظاهرات تحدياً للملالي، ولبنان الذي حاق بأتباع إيران فيه ذهول واضح، حتى خرج نصر الله شامتاً بالشعب الإيراني، بعد نحو أسبوع من القمع الوحشي، سوى عناوين شخصت أزمة بنيوية داخلية؛ علّق عليها النظام طغيانه

المستمر وتدخلاته المتناسلة في محيطه الإقليمي وفي أصقاع بعيدة في أميركا اللاتينية و أفريقيا، وردّ المتظاهرون عليه بأن حولوها إلى شعارات مواجهة في شوارعهم، وعناوين وطنية لفقرهم غير المبرر.

في العمق كان شأنا يتعلق بموقف الإيرانيين من طريقة حكمهم، وهو تهديد جذري سيظل شاخصاً حتى مع نجاح السلطات في قمعه راهناً - الاحتجاجات الأخيرة جاءت بحد ذاتها نفياً عنيفاً لاقتناع النظام باستقراره بعد سحق الحركة الخضراء- لأنّه يختزن رفضاً لم تتم معالجته، ويجري اغتياله في كل مرة يتاح للمواطن العادي تلمّس القدرة على تغييره، أو إحداث أثر فارق في مساره عبر الانتخابات، إذ أنّ النظام الانتخابي في إيران مصمم بعناية كي ينتج النظام نفسه بنفسه كلّ مرة، مهما اختلفت عناوين الطبقة السياسية بين محافظين ومعتدلين وإصلاحيين.

• انكشاف التقابل والتماثل

حصلت المظاهرات في إيران على دعم دولي سريع، خطابياً وإعلامياً على الأقل، وبالرغم من أنّ أنصار النظام استغلوا هذا فوراً لوصم المحتجين بالخونة المتآمرين الموالين لأجندات خارجية، فإنّ وضع هذه الاحتجاجات في متاهة الصمت المنافق لم يكن سيغير من الأمر شيئا؛ لأنّ الاتهامات السابقة كانت ستلحق بهم سواء أكتب دونالد ترامب تغريدتين داعمتين لهم أم لم يفعل، والواقع أنّه لو صمت لاعتبر النظام

هذا ترخيصاً بمزيد من القمع كما حدث في سوريا وغيرها.

والواقع أنّ أهم نتيجة أفرزتها هذا الاحتجاجات التي أعلن الحرس الثوري نصره عليها في 7 كانون الثاني 2018 -بعد قتل 25 مدنياً وفق البيانات الرسمية، وأكثر من 45 حسب احصائيات المعارضة ونشطاء إيرانيين- كان انكشاف التقابل بين المجتمع والطبقة السياسية برمتها، وانكشاف التماثل بين مكونات هذه الطبقة حين يتعلق الأمر بطرح تحول بنيوي يشطب امتياز النخبوية مسبقة الصنع، ويقوض الدولة الثيوقراطية التي تحولت الديموقراطية المقننة فيها إلى ما يشبه لعبة الكراسي الموسيقية.

سيكون هذا على الأرجح عنوان أي انتفاضة أخرى قادمة، قد تتجاوز أخطاء وعشوائية الاحتجاجات الأخيرة وانعدام وجود قيادة لها، إلى تيار أكثر صلابة يمكنه النفاذ الى حيث تكورت الطبقة الوسطى المرتبطة جزئياً ومصلحياً بالحفاظ على نفسها دفاعاً عن مكاسب محدودة ومضمونة مؤقتاً، وتركت آلة القمع تعمل سطوتها المدمرة بين متظاهري مدن الأطراف والعشوائيات الفقيرة، الذين وللمفارقة، كانوا يعتبرون دائماً خزاناً بشرياً ضخماً لقوات الباسيج التي قمعتهم دون تردد.

تكمن قوة هذه الموجة الاحتجاجية في أنّها وخلال تسعة أيام قوّضت نحو أربعة عقود من البروباغندا الأيديولوجية، وحولت ما يروج لها على أنها «انتصارات إلهية» إقليمية للطغمة الحاكمة إلى أزمات داخلية ثقيلة، وهدمت أسوار الاختلاف الوهمي بين مسميات السياسة الإيرانية، حين أجبرت من كانوا يصفون أنفسهم بدعاة الحريات على الخروج من قمقم الانكفاء ليعلنوا وقوفهم ضد حرية شعبهم.

لا تنبني الثورات على أكثر من ذلك .... حتى وإن بدا لوهلة قد تطول أو تقصر أنها قمعت بقسوة احتفالية.

الدياسبورا دير الزور الخامسة... تقيء صامتة إلى ساحة الجريمة

علي الكمالي

تشهد دير الزور، هذه الأيام، قيامة (الدياسبورا: التهجير والنفي) الخامسة لبعض سكانها النازحين أصلاً في مناطق سيطرة النظام، بتهجيرهم القسري العكسي هذه المرة إلى خرائب كانت فيما مضى مدينتهم العامرة بهم. وككل تهجير جماعي سابق تعرضت له، لا تجد دير الزور مساحة في صورة الحدث المبهرج بالوساطات العابرة للحدود، وبالصفقات التي يقتات عليها معسكر النظام إعلامياً؛ لتغذية رغبة مؤيديه بإحساس القوة، وتضوّرهم إلى رؤية السوري الآخر يدفع ثمن ذعرهم من إشهاره وجوده الحر.

يصر نظام الأسد وداعموه ومشغلوه، في إيران وروسيا، على تصوير سيطرتهم على دير الزور، باعتباره فصل ختام موهوم في الذهن، ووهمي في واقع جغرافيا الموت السورية للحرب على تنظيم داعش، وبداية ما تسوقه جوقة البروباغندا الثلاثية على أنه مرحلة عودة الحياة إلى المدينة والمدن المدمرة، التي لن يستطيع النظام ولا أربابه الروس والإيرانيون إعادة إعمارها ثانية.

ويقيم المنفى الديري الخامس بناءه البشع على نقل أدوات الحصار الذي تشارك به النظام وداعش، وأنتج المنفى الرابع نزوحاً إلى مناطق سيطرة النظام، بعد ثلاثة اجتياحات عسكرية، تتالى عليها طرفا الحصار، وأفرغت المدينة من سكانها. ويجد أهل دير الزور الآن أنفسهم في غرفة تعذيب هائلة، تطال أرزاقهم ووظائفهم ومدارس أطفالهم؛ لجرّهم عنوة الى مدينة لم تبق آلة التدمير الأسدية فيها على مدى سبع سنوات حجراً على حجر. وباستخدام أدوات ابتزاز الحياة التي طالما برع النظام بها خلال عقود حكمه الوحشي، تفرض على المدنيين صفقة إذلال جديدة، لا يملكون فرصة في معارضتها ولا بدائل لها، لاستخدامهم دروعاً بشرية مجدداً في واجهة بروباغندا وهم «الانتصار»، واستعبادهم في ديارهم، وإرغامهم على تطويع أبنائهم في ميليشيات جديدة مزمع تأسيسها، وبعد توقيع صكوك استسلامهم تحت عنوان المصالحة مع النظام؛ الذي نفدت لديه الخزانات البشرية التي تغذي جيشه وميليشياته بما يرسخ السيطرة على المحافظة الشاسعة.

إنها معادلة عبودية صرفة، تكرس منطقاً قامعاً اعتاش عليه النظام في فترات قوته الذاتية قبل الثورة، ويحاول الآن استعادته باستخدام جيوش من إرهابيين جلبتهم إيران من شتى أصقاع الأرض، وتحت غطاء من جحيم القصف الروسي، لينتقم من مدنيين ثاروا عليه وهزموه في دير الزور وغيرها.

وبينما سيتحول ما بقي من جثة دولة الأسد المهزومة منذ 2011 إلى مصدر وحيد للدخل، في ثلاثة أحياء باقية من مدينة لم تعد تملك أي مقومات طبيعية لحياة سكانها؛ فإنّ حشر كل سكان دير الزور العائدين من مستقرات نزوحهم في دمشق وحماة واللاذقية وطرطوس وغيرها، في أحياء الجورة والقصور ثم هرابش، سيخلق أزمات اجتماعية ومعاشية لا يمكن تصورها، وصراعاً يومياً على موارد الحياة، بينما تحوز ميليشيات إيران وأجراؤها السوريين على خلاء واسع؛ لتنشيط ممر تهريب الأسلحة والمخدرات والعقائد الإرغامية بين بقية مواقع هيمنة محور الممانعة المتطرف.

تشخص الدياسبورا الديرية الخامسة، بوصفها اعتناقاً متجدداً لعقيدة الانتقام من المدنيين، باستخدام آثار مروعة لجريمة حرب مديدة ارتكبت بحقهم كأداة تعذيب قائمة ودائمة ضدهم، بداية بتحويلهم إلى أشخاص غير مرغوب بهم في مناطق نزوحهم ونفيهم منها بقطع أرزاقهم، وصولاً إلى إرغامهم على الحياة في مدينتهم المدمرة كعقاب لثورتهم فيها. لكن فقط بعد أن أوشك لصوص ميليشيات «الجيش والقوات الرديفة» على الانتهاء من نهبها فوق الأرض وحتى تحتها، وحيث سيجد المنفيون مجدداً أملاكهم المنهوبة تباع علناً أمامهم.

هي عقيدة اختراع انتصار لم يحدث. الأسد يريد إثبات هوس الحكم الأبدي الموروث وبقاءه باستجلاب نهاية لم تحدث بعد لحرب ماتزال متقدة، وإن كان من مهزوم وساقط فيها فهو الأسد نفسه منذ أن سحقت فكرة نظامه في دوار المدلجي عام 2011. وما يحدث مذاك أن حلفاءه يحرقون البلد دفاعاً عن أشلائه الممزقة.

مطلوب ميتاً أو حياً

البحث المحبِط والفاشل عن أبي بكر البغدادي

آن سبيكهارد و أرديان شاجكوفسي
عن جريدة الدايلي بيست
6 كانون الثاني
ترجمة مأمون حلبي

يتقاطر الأميركيون والروس إلى وادي الفرات من شتى الجهات، حيث تخوض «خلافة» تنظيم الدولة معركة بقاء أخيرة، وهم يعتقدون أن البغدادي حي هناك. مع احتمال مغادرته لهذا المكان منذ أمد بعيد.

أعلن حيدر العبادي، رئيس الوزراء العراقي، في الشهر الماضي هزيمة تنظيم الدولة وتجريده من الأراضي التي كان مسيطراً عليها. مع ذلك، يبقى هناك سؤال مُلِح: أين البغدادي (زعيم الجماعة الإرهابية) التي سيطرت على ثلث أراضي العراق عام 2014، وأرهبت ملايين الناس في المنطقة، وبثت الرعب في كل أنحاء العالم، وألهمت هجمات تقشعر لها الأبدان في أوروبا والولايات المتحدة؟. فبالرغم من الجائزة الأميركية البالغة 25 مليون دولار ثمناً لرأسه، استطاع البغدادي تفادي الأسر والموت مراراً.

بينما كنا الشهر الماضي في بغداد، بصفتنا باحثين من «المركز العالمي لدراسة التطرف العنفي»، نجري مقابلات مع كوادر من تنظيم الدولة الذين، بخلاف قائدهم، ألقي القبض عليهم ومَثلوا أمام العدالة، سألَنا محقق عراقي في أحد السجون: «بالرغم من قوة بلدكم العسكرية، لماذا لا تستطيع الولايات المتحدة العثور على البغدادي؟».

إنه سؤال جيد. أفضل طريقة لتلقي المعلومات بالنسبة للاستخبارات تكون من مصادر ميدانية، وهذا أمر تفتقر إليه الولايات المتحدة في حالة التنظيم. وقد وجدت أجهزة الاستخبارات الغربية أن من المستحيل تقريباً إدخال جواسيس إلى هذه الجماعة الإرهابية. لكن مصادر أردنية زعمت لنا أنها قد قامت بذلك، معززة زعمها برواية إخبارية عن عميل سبق وأن اخترق التنظيم وخدم كقائد فيه، ثم سُحِب جواً قبل الهجوم النهائي للتحالف على الرقة، عاصمة التنظيم. أيضاً، عدة موظفين حكوميين كوسوفيين أخبروا باحثين من مركزنا عن محاولاتهم اختراق التنظيم، لكنهم اعترفوا بفشلهم. أحدهم اكتُشف وتم قتله. وفي حين من المحتمل أن يكون الموساد الإسرائيلي وروسيا قد نجحا (هذا بالطبع ما يريدون منا أن نصدقه)، إلا أنه ليس واضحاً أن المعلومات الاستخبارية تأتي أو كانت تأتي من داخل التنظيم في وقتها. من الجلي أنه لا توجد حكومة أو جهاز استخبارات لديه معلومات كافية لقتل البغدادي.

من خلال مقابلات مع 66 منشقاً وعائداً وسجيناً من تنظيم الدولة، علم باحثو مركزنا أن كل الكوادر واقعة تحت ضبط كبير. الهواتف المحمولة غالباً ما يُجرّدون منها، أما الذين يسمح لهم بحملها، فغالباً ما يتم التحقق من الرسائل في أجهزتهم. ومراقبة الاتصالات مشددة للغاية. أما مصير أي شخص يتهم بخيانة التنظيم فهو قطع رأسه على الأرجح. كثيراً ما سمعنا أثناء المقابلات عن أعضاء روس، على وجه الخصوص، تم قطع رؤوسهم بعد أن اتهموا بالتجسس. اتهامات أُطلقت بدافع الاشتباه، مع وجود دليل بسيط، أو حتى دون أي دليل يسندها. كانت استخبارات التنظيم يقظة على الدوام من الأعداء ضمن صفوفها، فكانت تراقب أي اتصالات خارجية، وكانت تنبش في ماضي أولئك الذين ينضمون إليه. المنتسبون الذين ظهروا في سوريا والعراق دون تزكيات شخصية كانوا يمضون زمناً رهن تحقيقات الأمنيين، وكثيراً ما كانوا

يرسلون مباشرة إلى الجبهات. كان التفكير هو، إنْ حمل هؤلاء المنتسبين السلاح وقاتلوا بشجاعة لصالح التنظيم وبقوا أحياء، يسمح لهم بالبقاء. أما إن ماتوا، ف«الشهادة» كانت قدرهم، وإن كانوا مؤمنين صادقين فالجنة مأواهم، وإن لم يكونوا كذلك فإلى جهنم. علينا أيضاً ألا ننسى أن تنظيم الدولة ليس مجرد جمع عشوائي من المتطوعين المتعصبين، كما يصور أحياناً. فبنيته الأساسية تشكلت من مجموعة من الضباط العسكريين والاستخباراتيين من حكومة صدام حسين. هؤلاء الضباط المتمتعون بتدريب رفيع أغضبهم صرفهم من الخدمة بعد غزو العراق بقيادة الولايات المتحدة، فتحالفوا مع مجموعة الجهاديين التي تشكلت حول أبي مصعب الزرقاوي (من الأردن)، الذي حظي باعتراف الأمر الواقع من أسامة بن لادن كقائد لما أصبح معروفاً باسم القاعدة في بلاد الرافدين. البحث عن الزرقاوي من 2003 حتى مقتله عام 2006 يقدم لمحة عما يجري الآن في البحث عن البغدادي.

كانت ندى باخوس ضمن فريق موظفين تابع للمخابرات المركزية الأميركية. هذا الفريق كان مكلفاً برصد واقتفاء أثر الزرقاوي -ندى لا تعمل حالياً مع وكالة الاستخبارات-. تقول ندى: «على العضو في هذا الفريق أن يتصفح كماً هائلاً من المعلومات. كل شخص يترك أثراً. كل كائن بشري مدفوع للبحث عن أشياء معينة: الطعام، الماء، المأوى، العلاقة مع الآخرين. توجد غرائز أساسية تدفع المرء لأن يكون موجوداً، وهذه الغرائز تشكل نموذجاً. تتضمن نقاط ضعف الأشخاص المطاردين مسألة إن كان لديهم متاعب صحية - فهمُ طبيعة تلك المتاعب، والشيء الذي يحتاجونه للعلاج- أفراد العائلة، الأصدقاء المقربون، إن كانوا مهتمين بمنطقة محددة من العالم. يحاول المرء منا رسم صورة عن المكان الذي قد ينتهي المُطارَد إليه».

أخيراً علمت قوة مهام العمليات الخاصة التي تتعقب الزرقاوي أن إماماً وعالماً إسلامياً كان الزرقاوي يعتبره مرشده الروحي، سيلتقي بالزرقاوي في منزل يقع خارج مدينة بعقوبة العراقية في حزيران 2006. تتبعت الطائرات المسيرة عن بعد سيارة الإمام، وعند دخوله المبنى، قامت طائرة أف 16 بتسويته بالأرض بقنبلتين زنة كل واحدة منهما 500 رطل. لكن باخوس تلاحظ شيئاً آخر، وهو أن تنظيم الزرقاوي كان شبكة من مراكز القوى والعقد التفريعية، وليس تنظيماً شديد الهرمية. هذا يعني أنه حتى بعد موت الزرقاوي، وحتى بعدما ظهر أنه هزيمة شبه كاملة في العراق، استطاعت الجماعة أن تتبعثر، ومن ثم تعيد التجمع وتنظيم نفسها في سوريا، وأخيراً إعادة الظهور باسم تنظيم الدولة الإسلامية تحت قيادة البغدادي.

لاحظنا في مقابلاتنا أن قلة قليلة من كوادر التنظيم الذين تكلمنا معهم قالوا إنهم شاهدوا البغدادي شخصياً. منذ خطابه عام 2014 في مسجد في الموصل يعيش البغدادي حياة منعزلة، وقد أبقى ضباط الاستخبارات الذين يحيطون به مكانه وتحركاته سراً شديد الحراسة. يجب أن لا يكون أمراً مفاجئاً أن تنظيم الدولة تعلم من التنظيمات الشقيقة السابقة كيف يحمي قائده. فأولئك الذين من عالم مخابرات صدام حسين عرفوا ما عليهم فعله لتجنب تكرار محاولات الإعدام، أو حالات الإعدام الفعلية للقادة الإرهابيين الشيشان باسايف وخطاب من قبل الروس، والزرقاوي وبن لادن من قبل الأمريكان. منذ اللحظات الأولى لتشكيل «خلافة» تنظيم الدولة اتخذ العملاء السريون لاستخبارات التنظيم خطوات تقلل إلى أدنى حد ممكن احتمال أن يلاقي البغدادي نفس المصير، وبالتالي يصبح التنظيم بلا رأس قبل الأوان.

هكذا نرى أن العثور على البغدادي ليس بسيطاً، بحيث يكفي الاعتماد على البراعة التقنية العسكرية للولايات المتحدة، كما كان يعتقد محققنا العراقي. فالمراقبة الدقيقة على مدار الساعة عبر الأقمار الصناعية التي تستخدمها الولايات المتحدة، وطائرات الدرون الذكية التي تفتش الأرض بأدق التفاصيل، لا تقدم إلا النزر اليسير من المعلومات، عندما يستطيع أمثال البغدادي أن يتحركوا بسرعة عبر متاهة أنفاق في الموصل، وأماكن أخرى بناها التنظيم. وعندما لا تبقى تلك الأنفاق متاحة له، فإن لدى البغدادي ميزة إضافية بتحويل مظهره، وربما حتى بالتنكر على شكل امرأة عربية تختبئ تحت نقاب ليتفادى المراقبة، كما حاولت كوادر أخرى من التنظيم أن تفعل. بعد غزو العراق عام 2003 الذي قادته الولايات المتحدة وُجد صدام حسين مختبئاً في حفرة في الأرض. لم يكن العثور عليه نتيجة للمكافأة البالغة 25 مليون دولار، والتي كانت أيضاً موضوعة ثمناً لرأسه. أَسرُ صدام تحقق بواسطة استجواب حراسه السابقين الذين قدموا أنواعاً شتى من المعلومات البسيطة، أدت في النهاية إلى اكتشاف مكانه. ومن المحتمل أيضاً أن صدام كان يفتقد ذاك النوع من الشبكة المخلصة التي ما يزال بوسع البغدادي الاعتماد عليها، مع وجود 20.000 من كوادر التنظيم التي عاودت الذوبان في المجتمع، وفقاً لمسؤولين عراقيين.

أهمية التخلص من البغدادي

يقدر المسؤولون العراقيون أن ما بين 6000 إلى 20000 من كوادر التنظيم قد عاودوا الذوبان في المشهد العراقي، وهذا يعني أن الجماعة ربما ما تزال تحتضن قدرات وقوى بشرية لشن حرب عصابات مع تفجيرات وهجمات انتحارية على نطاق أصغر، خصوصاً إن وجد قائد يرتب هذا الأمر. لكن عند هذه النقطة، حتى بدون قادتهم، أطلق تنظيم الدولة والقاعدة حركة اجتماعية من الفاعلين الصغار الذين يهاجمون من تلقاء أنفسهم. يضاف إلى ذلك، بالرغم من كل ما قد خسره التنظيم -الأراضي التي زعم في وقت ما أنها الخلافة، حقول النفط التي كان يحصل منها على الثروة والعائدات لكي تمكنه من تمويل إمداداته بالسلاح ورواتب مقاتليه، قدرته على استعباد وبيع الأسيرات، سرقاته ومبيعاته السرية للتحف الأثرية وأشياء أخرى قَيمة، مقدرته على فرض ضرائب على أولئك الذين كانوا تحت حكمه- ما يزال حلم تنظيم الدولة باقياً. حتى السجناء من التنظيم وأولئك المنشقين عنه، في الوقت الذي يعبرون عن تحررهم من أوهام الجماعة وتكتيكاتها، فإنهم يظهرون في كثيراً من الأحيان دلائل على ولاء باقٍ لحلم التنظيم الذي تم بيعه لهم. عرض الدولة الإسلامية للشبان والشابات على امتداد العالم الذين أحبطتهم المظالم وغياب المساواة السياسية وفقدان الفرص ما يزال موجوداً.

وعد التنظيم بالمشاركة ببناء شكل حكم جديد، يدعي التنظيم كذباً أنه سيدعم المثل الإسلامية، ويكون استيعابياً ويقدم العدالة والفرص لكل المسلمين. هو وعد يأسر الألباب. وحقيقة أن البغدادي مطلق السراح أمر قد يجعل إعادة بعث الإمبراطورية المهزومة بالنسبة لأولئك المؤمنين الصادقين ينطوي على احتمال أكبر.

من صفحة شبكة أخبار الموعة على الفيسبوك

أرقام من قرية الموعة عن قتلاها ورسالة لبشار الأسد

في قرية الموعة جنوب غرب حماة، التي يزيد عدد سكانها عن (4) آلاف نسمة بقليل، اقترب عدد أبنائها القتلى في صفوف قوات الأسد، من (100) قتيل، وضعفيهم من الجرحى و (10) أسرى أو مجهولي المصير، حسب ما تنشر فرادى وبتقطع صفحات ناطقة بحال القرية على موقع فيسبوك.

من بين (20) سيرة ذاتية مقتضبة للقتلى نشرتها صفحات مهتمة بـ«الشهداء» من أبناء القرية، كانت أعمار (16) منهم تحت (40) عاماً. وبحسب الرتب ظهر (4) ضباط صغار أعلاهم رتبة علي طرابلسي (رائد شرف بالمخابرات الجوية- فرع التحقيق)، الذي وصفته صفحة «فتية بشار الأسد-الموعة» بأنه من «من المتفوقين والمتميزين ومن النخبة»، وابن عائلة عريقة معظم أفرادها «من الضباط وصف الضباط».

إلى جانب الضباط ظهر في القائمة (14) صف ضابط رفّعوا جميعاً وتلقائياً إلى ضباط برتبة ملازم شرف، وعنصراً في ما يسمى بـ«الدفاع الوطني»، ورجلاً مدنياً واحداً قالت الصفحات إنه قتل بدوافع طائفية على طريق عودته إلى الضيعة التي تنتمي لفضاء ريفي متعدد الطوائف.

خلال السير الذاتية أو بعضها، كان يخطر لناشريها أن يعرضوا مطالب خاصة لذوي «الشهداء». إذ طالبوا بتوظيف الآنسة رجاء، شقيقة الملازم شرف موفق إبراهيم، لأن دخل عائلته لا يزيد على (7) آلاف ليرة في الشهر، ونقل مهند شقيق الملازم شرف ابراهيم كليمة إلى محافظة حماة، ولشقيق ملازم شرف ثالث بمسكن من المساكن العمالية التابعة لمصفاة بانياس حيث يعمل هناك، وتخفيفاً لمعاناة زوجة ملازم شرف رابع وأطفاله يجب تعبيد (100) متر من طريق يصل إلى منزلهم. ويجب إطلاق اسم النقيب شرف ياسر عبود على روضة أطفال القرية لأن زوجته «تعلم أجيال المستقبل» فيها.

«فتية بشار الأسد-الموعة» وغيرها من صفحات القرية، نشرت رسالة مفتوحة لبشار وجهها والد أحد الأسرى لدى الجيش الحر، وقال فيها «من ابنكم البار المخلص المبايع للأبد عبدالكريم فارس السلوم من أهالي وسكان قرية الموعة.. إن ولدي عبد المطلب المجند في الجيش العربي السوري.. مأسور عند العصابات الإرهابية المسلحة في حلب». ويشرح الرجل جهوده في تتبع مصير ابنه المجهول منذ (4) سنوات، ويروي حكاية سمعها عن (13) أسيراً ابنه منهم «يعتبرهم الخاطفون عناصر مقربين من سيادتكم شخصياً ومنتخبين بمعرفتكم المباشرة» ولهذا حسب ما يقول، يستثني الخاطفون ابنه وزملاءه الأسرى من أي تفاوض. يشكو الرجل في الرسالة تقصير «الجهات الحكومية المسؤولة» عن جمع مبلغ (600) ألف ليرة، طلبه الخاطفون ذات مرة، مقابل الإفراج عن كل أسير، قبل أن يغيروا رأيهم ويطالبوا بتبادل أسرى «كان قيد الدراسة لدى السيد اللواء علي مملوك»، لذلك يرجو من رئيسه «إعطاء توجيهاتكم الحكيمة للإسراع... ولله الحمد ولكم الأمر».

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP

دير الزور

٢٠١٣

٢٠١٨

خاص عين المدينة